

تفسير البحر المحيط

@ 415 هُزُّواً { ، قرأ حمزة ، وإسماعيل ، وخلف في اختياره ، والقزاز ، عن عبد الوارث والمفضل ، بإسكان الزاي . وقرأ حفص : بضم الزاي والواو بدل الهمز . وقرأ الباقون : بضم الزاي والهمزة ، وفيه ثلاث لغات التي قرء بها ، وانتصابه على أنه مفعول ثان لقوله : { أَتَتَّخِذُونَ هُزُوءًا } ، فيما أن يريد به اسم المفعول ، أي مهزواً ، كقوله : درهم ضرب الأمير ، وهذا خلق □ ، أو يكون أخبروا به على سبيل المبالغة ، أي آتخذنا نفس الهزوء ، وذلك لكثرة الاستهزاء ممن يكون جاهلاً ، أو على حذف مضاف ، أي مكان هزء ، أو ذوي هزء ، وإجابتهم نبيهم حين أخبرهم عن أمر □ بأن يذبحوا بقرة ، بقولهم : { أَتَتَّخِذُونَ هُزُوءًا } دليل على سوء عقيدتهم في نبيهم وتكذيبهم له ، إذ لو علموا أن ذلك إخبار صحيح عن □ تعالى ، لما كان جوابهم إلا امتثال الأمر ، وجوابهم هذا كفر بموسى . وقال بعض الناس : كانوا مؤمنين مصدقين ، ولكن جرى هذا على نحو ما هم عليه من غلط الطبع والجفاء والمعصية . والعذر لهم أنهم لما طلبوا من موسى تعيين القاتل فقال لهم : { إِنَّ اللَّاهِ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذُوبَحُوا } ، رأوا تباين ما بين السؤال والجواب وبعده ، فتوهموا أن موسى داعيهم ، وقد لا يكون أخبرهم في ذلك الوقت بأن القاتل يضرب ببعض البقرة المذبوحة فيحيا ويخبر بمن قتله ، أو يكون أخبرهم بذلك ، فتعجبوا من إحياء ميت ببعض ميت ، فطنوا أن ذلك يجري مجرى الاستهزاء . وقيل : في الكلام محذوف تقديره : آ□ أمرك أن تتخذنا هزواً ؟ وقيل : هو استفهام حقيقة ليس فيه إنكار ، وهو استفهام استرشاد لا استفهام إنكار وعناد . .

{ قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } ، لما فهم موسى عليه السلام عنهم أن تلك المقالة التي صدرت عنهم إنما هي لاعتقادهم فيها أنه أخبر عن □ بما لم يأمر به ، استعاذ با□ وهو الذي أخبر عنه ، أن يكون من الجاهلين با□ ، فيخبر عنه بأمر لم يأمر به تعالى ، إذ الإخبار عن □ تعالى بما لم يخبر به □ إنما يكون ذلك من الجهل با□ تعالى . وقوله : من الجاهلين ، فيه تصريح أن ثم جاهلين ، واستعاذ با□ أن يكون منهم ، وفيه تعريض أنهم جاهلون ، وكأنه قال : أن أكون منكم ، لأنهم جوّزوا على من هو معصوم من الكذب ، وخصوصاً في التبليغ ، عن □ أن يخبر عن □ بالكذب . قالوا : والجهل بسيط ، ومركب البسيط : عام وخاص . العام : عدم العلم بشيء من المعلومات ، والخاص : عدم العلم ببعض المعلومات ، والمركب : أن يجهل ، ويجهل أنه يجهل . فالعام والمركب لا يوصف بهما من له بعض علم ، فضلاً عن نبي شرف بالرسالة والتكليم ، وذلك مستحيل

عليه ، فيستحيل أن يستعيز منه إلا على سبيل الأدب . فالذي استعاز منه موسى هو خاص ، وهو المفضي إلى أن يخبر عن □□ تعالى مستهزئاً ، أو المقابل لجهلهم . فقالوا : أتتخذنا هزواً لمن يخبرهم عن □□ ، أو معناه الاستهزاء بالمؤمنين . فإن ذلك جهل ، أو من الجاهلين بالجواب ، لا على وفق السؤال ، إذ ذاك جهل ، والأمر من تلقاء نفسي ، وأنسبه إلى □□ ، والخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزاء ، فإن ذلك جهل . وهذه الوجوه الستة مستحيلة على موسى . قيل : وإنما استعاز منها بطريق الأدب ، كما استعاز نوح عليه السلام { أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ } ، وكما في : { وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ } ، وإنما قالوا ذلك بطريق الأدب مع □□ والتواضع له . .

{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ } ، لما قال لهم موسى : { أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } ، وعلموا أن ما أخبرهم به موسى من أمر □□ إياهم بذبح البقرة كان عزيمة وطلباً ، جاز ما قالوا له ذلك ، وهذا القول أيضاً فيه تعنيت منهم وقلة طواعية ، إذ لو امتثلوا فذبحوا بقرة ، لكانوا قد أتوا بالمأمور ، ولكن شدّدوا ، فشدد □□ عليهم ، قاله ابن عباس وأبو العالية وغيرهما . وكسر العين من ادع لغة بني عامر ، وقد سبق ذكر ذلك في { فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا } ، وجزم يبين على جواب الأمر . وما هي : مبتدأ وخبر . وقرأ عبد □□ : سل لنا ربك يبين ما هي ، ومفعول يبين : هي الجملة من المبتدأ والخبر ، والفعل معلق ، لأن معنى يبين لنا يعلمنا ما هي ، لأن التبیین يلزمه الإعلام ، والضمير في هي عائد على البقرة السابق ذكرها ،